كَثيرَةٌ هِيَ الأَشْياءُ الَّتي تُذَكِّرُنا بِأَبي عَبْدُه. كانَ حَديثَ الضَّيْعَةِ أَيّامَ زَمانٍ. أَيّامَ كانَتِ الْبُطولَةُ ساعِدًا مَفْتولَةً، وَهِمَّةً وَعُنْفُوانًا وَعِزَّةَ نَفْسٍ، وَغَيْرَةً عَلى الْقَريبِ وَالْجارِ، وَعَوْنًا لِلْمُسْتَغيثِ وَالْمُحْتاجِ.

عَرَفَهُ الْكِبارُ بِهَذِهِ الصِّفاتِ، وَعَرَفْناهُ نَحْنُ الصِّبْيانَ بِلُطْفِ مَعْشَرِهِ وَابْتِسامَتِهِ الدّائِمَةِ، فَكَمْ حاوَلْنا التَّعَلُّقَ بِشِرْوالِهِ الأَسْوَدِ الطَّويلِ الَّذي يُلامِسُ الأَرْضَ! فَيَرْتَدُّ نَحْوَنا بِهَيْكَلِهِ الضَّخْمِ الَّذي أَحْنَتْهُ الشَّيْخوخَةُ. وَبَدَلَ أَنْ يَغْضَبَ وَيَثورَ، وَيَرْشُقَنا بِالْكَلامِ الْبَذيءِ وَالسِّبابِ، كانَ يَأْخُذُ بِالضَّحِكِ وَيَصْرُخُ: "بْعُدو يا وْلادْ... بْعُدو وَإِلاّ...".

وَلَكِنَّ التَّهْديدَ لا يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ لأَنَّ قَلْبَهُ لا يَعْرِفُ الْكُرْهَ وَالْحِقْدَ وَالإِساءَةَ. وَإِذا عاوَدْنا الْكَرَّةَ في مُلاحَقَتِهِ، يَرْمي "الْبُرْنَيْطَةَ" عَلى الأَرْضِ، وَيُحاوِلُ لَمَّها إيهامًا لَنا بِأَنَّهُ يَأْخُذُ حَجَرًا لِيَرْمِيَنا بِهِ، وَلَكِنَّ طيبَ سَريرَتِهِ عَلَّمَنا أَنَّهُ لا يَفْعَلُ ذَلِكَ وَلا يَقْدِرُ عَلى الشَّرِّ.

زادَ طَمَعُنا بِهِ لأَنَّهُ يُشارِكُنا لُعْبَتَنا الْمُفَضَّلَةَ في ساحَةِ الضَّيْعَةِ: لُعْبَةَ "الدّيبِ وَالْغَنَماتِ"... كانَ دَوْرُهُ غالِبًا، دَوْرَ الذِّئْبِ الَّذي يُلاحِقُ قَطيعَ الْغَنَمِ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ، حَتّى إِذا ما أَعْلَنَ أَحَدُنا بَدْءَ اللُّعْبَةِ، أَخَذَ الأَوْلادُ يَتَراكَضونَ أَمامَهُ وَ"يَتَعافَطونَ" وَهُوَ يُلاحِقُهُم كَأَنَّهُ يَسْتَعيدُ شَبابَهُ بِرَكَضاتٍ مُتَقَطِّعَةٍ مُتَثاقِلَةٍ، مُتَوَقِّفًا بَيْنَ الْحينِ وَالآخَرِ، لِيَأْخُذَ اسْتِراحَةً

إيهامًا: مُظْهِرًا حالاً غَيْرَ حَقيقِيَّةٍ

سَريرَتِهِ: مَعْشَرِهِ وَسُمْعَتِهِ

قَصيرَةً. وَإذا اشْتَدَّ الزِّحامُ وَاصْطَدَمَ اللاّعِبونَ بَعْضُهُم بِبَعْضٍ، وَاخْتَلَّ تَوازُنُ أَحَدِهِم فَوَقَعَ أَرْضًا، هَجَمَ أَبو عَبْدُه نَحْوَهُ مادًّا يَدَهُ، مُوهِمًا الصَّبِيَّ بِأَنَّهُ ذِئْبٌ حَقيقِيٌّ يُريدُ افْتِراسَهُ. وَما إِنْ يَقْبِضُ عَلَيْهِ حَتّى يَضُمَّهُ إِلى صَدْرِهِ مُصْدِرًا صَوْتًا تَخْنُقُهُ الْهَمْهَمَةُ وَالْغَمْغَمَةُ.

وَيَعْلَقُ الصَّبِيُّ وَيُحاوِلُ الإِفْلاتَ مِنَ الْقَبْضَةِ الْحَديدِيَّةِ، لَكِنْ بِلا جَدْوى، فَيَذْعَنُ لِلأَمْرِ الْواقِعِ الَّذي يَنْتَهي بِكَمْشَةِ زَبيبٍ، أَوْ جَوْزٍ، أَوْ تينٍ مُجَفَّفٍ، يَضَعُها أَبو عَبْدُه في جَيْبِ الْخَروفِ الْفَريسَةِ. وَتَتَحَوَّلُ شَراسَةُ الذِّئْبِ إِلى عَطْفٍ بَريءٍ وَحَنانٍ سابِغٍ، وَتَغْدو بَراءَةُ الْخَروفِ شَهِيَّةً لا تُقاوَمُ، في أَكْلِ الزَّبيبِ وَالْجَوْزِ وَالتّينِ.

الْهَمْهَمَةُ والْغَمْغَمَةُ: أَصْواتٌ غَيْرُ مَفْهومَةٍ
يَذْعَنُ: يَرْضَخُ، يَسْتَجيبُ
سابِغٍ: دافِقٍ

د. مَنْصور عيد
أَوْراقٌ في الذّاكِرَة

مَنْصور يوسُف عيد

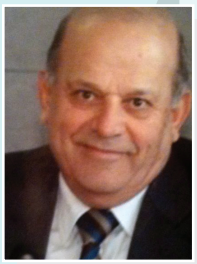

كاتِبٌ وَأَديبٌ وَشاعِرٌ وَباحِثٌ لُبْنانِيٌّ، وُلِدَ في بْتِدّين اللّقْش عامَ ١٩٤٤ قَضاءِ جِزّينَ. تُوُفِّيَ عامَ ٢٠١٣. تَلَقّى عُلومَهُ في مَدْرَسَةِ سَيِّدَةِ مَشْموشَة. نالَ إِجازَةً في الْفَلْسَفَةِ وَالْعُلومِ الاجْتِماعِيَّةِ مِنْ جامِعَةِ بَيْروتَ الْعَرَبِيَّةِ، وَإِجازَةً في اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدابِها مِنَ الْجامِعَةِ اللُّبْنانِيَّةِ، وَالدُّكْتوراه في الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ مِنْ جامِعَةِ الْقِدّيسِ يوسُفَ. دَرَّسَ الْفَلْسَفَةَ وَالأَدَبَ الْعَرَبِيَّ في مَدارِسَ عِدَّةٍ. نالَ جَوائِزَ عَديدَةً وَشَهاداتِ تَقْديرٍ في الْقِصَّةِ الْقَصيرَةِ وَالرِّوايَةِ وَالإِبْداعِ الشِّعْرِيِّ. مِنْ مُؤَلَّفاتِهِ: غُرَباء، أَوْراقٌ في الذّاكِرَة، بَيْروتُ هَلْ تَذْكُرين؟، دُروبٌ وَأَطْياف، طائِرُ الْفينيق.

بِأَوَّلِ كُرْسِيٍّ يُقابِلُهُ، فَإِذا ما حاوَلَ إِعادَتَهُ إِلى وَضْعِهِ الأَوَّلِ اصْطَدَمَتْ يَدُهُ بِالْمِنْضَدَةِ... وَإِذا قَدَّمْتَ إِلَيْهِ الْقَهْوَةَ اعْتَذَرَ عَنْ شُرْبِها. وَلَكِنَّهُ يَتَناوَلُ الْفِنْجانَ عِنْدَما يُقَدِّمُهُ إِلَيْهِ صَديقٌ، وَلا يَكادُ يُمْسِكُهُ حَتّى تَقومَ في الْفِنْجانِ عاصِفَةٌ تَدْفَعُ بِالْقَهْوَةِ يَمينًا وَشَمالاً.

الْمِنْضَدَةِ: الطّاوِلَةِ

سُلَيْمان مَحْمود جاد
مَجَلَّةُ الرِّسالَةِ ١٩٣٣ (بِتَصَرُّفٍ)

الْمِحْوَرُ الثّاني
قَرْيَةٌ وَمَدينَة

النَّصُّ الأَوَّلُ: ضَيْعَتُنا الَّتي كانَت

النَّصُّ الثّاني: في الْمَدينَة

النَّصُّ الرَّديفُ: الشِّتاء

قَصيدَةٌ: في الْبالِ ضَيْعَةٌ

المِحْوَرُ الثّـاني

النّـصُ الأَوَّلُ ضَيْعَتُنا الَّتي كانَت

إِنَّ مَوْقِعَ الضَّيْعَةِ وَطَبيعَتَها فَرَضا عَلَيْها خُصوصِيَّةً مُمَيَّزَةً. فَالْجَبَلُ الْمُقابِلُ لَها يَضُمُّ أَوْدِيَةً تَبْدَأُ حادَّةَ الرَّأْسِ ثُمَّ تَنْبَسِطُ انْحِدارًا لِتُصْبِحَ واسِعَةً عِنْدَ السَّفْحِ، حَيْثُ كانَ يَحْلو لِلرُّعاةِ أَنْ يَأْخُذوا الأَغْنامَ وَالْماعِزَ لِتَقْتاتَ مِنَ الأَعْشابِ الَّتي تَنْبُتُ مَعَ مَطْلَعِ الرَّبيعِ. وَمَنْ كانَ يَمُرُّ قَريبًا مِنْهُم، كانَ يَسْمَعُ لَحْنَ "الْمِنْجَيْرَةِ" الْمُتَناغِمَ مَعَ هُدوءِ الطَّبيعَةِ وَفَرَحِ الْوِدْيانِ. فَالنَّفْخُ في "مِنْجَيْرَةِ" الْقَصَبِ يُوَلِّدُ لَحْنًا شَجِيًّا وَحَنونًا تَخْفُقُ لَهُ الْقُلوبُ.

كَما تَتَضَمَّنُ "الْجُبَيْلَةُ" الَّتي تَعْزِلُ ضَيْعَتَنا عَنْ سَهْلِ الْبِقاعِ، لِجِهَةِ الْغَرْبِ، أَوْدِيَةً مُنْبَسِطَةً نُسَمّيها "خَلَّة"، تُشَكِّلُ مَجْرًى لِلسُّيولِ إِذا أَمْطَرَتْ بِغَزارَةٍ، وَهِيَ خَصْبَةٌ في الْجُزْءِ السُّفْلِيِّ مِنْها الَّذي يَعْلو الْبُيوتَ قَليلاً حَيْثُ الْكُرومُ وَبَساتينُ الْكَرَزِ.

لِتَقْتاتَ: لِتَأْكُلَ وَتَسُدَّ جوعَها

الْمِحْوَرُ الثّاني

نَصٌّ رَديفٌ

الشِّتاء

كَأَنَّني لا أَذْكُرُ مِنْ صَباحِ قَرْيَتِنا الْماطِرِ، إلاّ شِتاءً عاصِفًا تَحْمِلُهُ الرّيحُ إلى كُلِّ الْجِهاتِ، عاتِيًا وَهُوَ يَقْرَعُ الأَبْوابَ وَالنَّوافِذَ كَأَنَّما يَطْلُبُ الإِذْنَ بِالدُّخولِ وَهُوَ يَشُقُّ عَصا الطّاعَةِ، حَيْثُ لا مَكانَ إلاّ لَهُ، موحِشًا بالِغَ الْغَرابَةِ، كَأَنَّما هُوَ في ذَلِكَ (الْوَقْتِ) يَمْلأُ الأَمْكِنَةَ صَفيرًا وَعَويلاً، وَأَنا أَخْتَبِئُ مِنْ ذَلِكَ الشِّتاءِ في زاوِيَةٍ مِنْ جِدارٍ طينِيٍّ، مُتَضامِنَيْنِ مَعًا؛ هُوَ في ذُرْوَةِ انْفِعالِهِ، وَأَنا أَتَخَبَّطُ في مائِهِ الَّذي يَمْلأُ (الطُّرُقاتِ). بَيْنَنا نَشيجٌ مُتَرابِطٌ وَمَسْموعٌ، وَبَيْنَنا أَيْضًا تِلْكَ الْخُطوطُ مِنَ الْماءِ وَهِيَ تَتَساقَطُ مُتَواصِلَةً، إلى حَيْثُ يَذْهَبُ الْقَلْبُ هَلَعًا في رَغَباتِ الْبَرْدِ الْمُتَلأْلِئِ مِثْلَ صَباحاتِ الْقُرى. وَالأَزِقَّةُ أَمامي عارِيَةٌ في الدَّهْشَةِ، وَالْبُيوتُ مُتَوَحِّدَةٌ في ذَلِكَ الصَّمْتِ، موحِشَةٌ حَتّى بِساكِنيها، وَنَحْنُ نُمْسِكُ ذَلِكَ الْفَراغَ الْموحِشَ الَّذي هُوَ أَشْبَهُ بِعَتْمِ (التَّنَهُّداتِ) في نَهارٍ مُلْتَبِسٍ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا وَنَحْنُ نَتَحَلَّقُ حَوْلَ مِدْفَأَةِ الْبَيْتِ الطّينِيَّةِ، وَأَصابِعُ النّارِ الْموقَدَةُ أَمامَنا تَدْعونا لِكَيْ نَقْتَرِبَ مِنْها، فَتُكَلِّمُنا بِلِسانِ الدِّفْءِ وَنَحْنُ نَسْمَعُ آهاتِ الزَّمْهَريرِ خارِجَ الْبَيْتِ، مُتَصاعِدًا آتِيًا مُتَسَلِّلاً عَبْرَ شُقوقِ بابِ الْبَيْتِ الْقَديمِ الَّذي كُنّا نَتَسامَرُ فيهِ، وَفي يَدِ كُلٍّ مِنّا كِتابٌ يَقْرَأُ فيهِ الْحِكاياتِ الَّتي لَمْ نَكُنْ نَمَلُّ سَماعَها. كانَ هُناكَ بِالتَّأْكيدِ،

موحِشًا: خالِيًا مِنَ النّاسِ
نَشيجٌ: بُكاءٌ مَخْنوقٌ في الْحَلْقِ
مُلْتَبِسٍ: غَيْرِ واضِحٍ
الزَّمْهَريرِ: الْبَرْدِ الْقارِسِ

الْحُبُّ، وَالْبُطولَةُ، وَالْمُغامَرَةُ وَالْمَكائِدُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ، تِلْكَ الْبُطولاتِ الَّتي كُنّا نُجَدِّدُها في خَيالِنا، نَلْمَحُ السُّهولَ الرَّحْبَةَ الَّتي كُنّا نَذْهَبُ إِلَيْها، وَنَتَخَيَّلُ تِلْكَ الْوَقائِعَ، سَيْفًا لا يُرْهَبُ، وَشَجاعَةً لا تَتَأَخَّرُ، وَإِقْدامًا أَمامَ الْخَطَرِ لا يَتَرَدَّدُ، وَهِيَ وَقائِعُ وَأَحْداثٌ كانَتْ تَتَمَدَّدُ إِلى أَبْعَدَ مِمّا كُنّا نَتَخَيَّلُ في ذَلِكَ الزَّمَنِ الْقَديمِ...

الْمَكائِدُ: مُفْرَدُها الْمَكيدَةُ، الْخَديعَةُ

إِقْدامًا: شَجاعَةً وَجُرْأَةً

هاني حَلاوي
بَعْضُ ذَلِكَ الزَّمَن (بتَصَرُّفٍ)
دارُ الإِبْداع

هاني حَلاوي

رائِدٌ لُبْنانِيٌّ مِنْ رُوّادِ الأَدَبِ، وُلِدَ في صور عامَ ١٩٤٣. مِنْ مُؤَسِّسي نادي التَّضامُنِ صور الرِّياضِيِّ. تُوُفِّيَ عامَ ٢٠٠٦. مِنْ مُؤَلَّفاتِهِ: ريفُ الْمَساء، بَعْضُ ذَلِكَ الزَّمَن.

الْمِحْوَرُ الثّاني

قَصيدَةٌ في الْبالِ ضَيْعَةٌ